العمران العربي (*

﴿ وصف دار الخلافة أو القصر الحسني ﴾

« حين وفد رسول ملك الروم على الخليفة »

حدثني ابو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر مُعَلّى قديما للحسن بن سهل ويسمى (١) القصر الحسني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياما في تفريغها وتسليمها ثم رمّتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت اصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجدها استكثره واستحسنه ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار عما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في توسعه وتعليته ، ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى عما انشأه واستحدثه وكان الميدان والثريا وجبر (٢) الوحوش متصلا بالدار (٣) كذا ذكر لي

---

*) نشر تحت هذا العنوان أثارات من التأريخ تذكيراً للخلف بسؤدد السلف، رجاء ان يبعث التذكير على العمل. وانا نبدأ بوصف القصر الحسني نقلا عن نسخة خطية من تأريخ مدينة السلام للخطيب موجودة في مكتبة مصطفى باشا الكوبريلي بالقسطنطينية مقابلين ذلك على نسخة G. Salmon المطبوعة بباريس سنة ١٩٠٤ وهي التي اخذها عن نسخة خطية في مكتبة لندره منبهين الى اختلاف النسختين في الهوامش ومفسرين بعض الكلمات الغريبة

(١) وسمي (٢) وجبر والجبر هو البستان ولكن الجبر هنا لا معنى لها (٣) في نسخة سالمون بعد كلمة بالدار « قال الشيخ الحافظ »

هلال بن المحسن أن بوران سلمت الدار الى المقتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش الى وقت المقتضد وذكر محمد بن احمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة و يشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتضد على الله والله اعلم .

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم قال حدثني ابي قال قال ابو القاسم علي بن محمد الجوّاري (١) في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على احد عشر ألف خادم خصي وكذا من صقلبي وردمي واسود وقال هذا جنس واحد ممن تضمه (٢) الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم الوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن ابيه وعمه عن أبيهما ابي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة (٣) كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني ابو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرمها (٤) وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز . قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين .

وقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله فرشت الدار بالفروش الجميلة وزينت بالآلات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف (٥) الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد الكثير (٦) والاسلحة المختلفة فكانوا من أطلاب الشاهية الى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الرائقة والسيوف

(١) الجواربي (٢) تضمنه (٣) نوب (٤) وحريمها (٥) ووقف (٦) الكثيرة

والمطامق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظّارة (١) وقد اكترى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة وفي دجلة الشذاءات والطيارات والذباذب والزلالات والسميريات (٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة وسار الرسول ومن معه من المراكب الى ان وصلوا الى الدار ودخل الرسول فمر به (٣) على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضفقا (٤) كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت برسم الوزير وفيها مجلس ابي الحسن علي بن محمد (٥) الفرات يومئذ فرأى اكثر مما رآه نصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واخيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعدة والسيوف ثم استدعي بعدان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشاهد من الأمر ما هاله ثم انصرف الى دار قد اعدت له

حدثني (٦) الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني امير المؤمنين القادر بالله قال حدثني جدتي ام ابي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل الي تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل الى بغداد نزل (٧) دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آلته ثم صف العسكر من دار صاعد الى دار الخلافة وكان عدد الجيش مئة وستين ألف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم الى أن بلغ الدار ، ثم أدخل في أزج (٨) تحت الارض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وادّى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد ألبتة واقفيها

---

(١) النظارة والنظارة هم القوم ينظرون الى الشيء واما النظار فلا معنى لها هنا (٢) كل هذه ضروب من الزوارق والسفن (٣) ممرّه (٤) صفنا والصفف ما يلبس تحت الدروع واما الضفف فلا يتضح لها معنى هنا (٥) بن (٦) وحدثني (٧) انزل (٨) في كتب اللغة انه بيت مستطيل وهو اخص من النفق ويسمى بالفرنسية Tunnel

الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن الرائس وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات (١) على درج غشيت بالديباج الاسود .

مطلب دار الشجرة

ولما دخل الرسول الى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه فيها (٢) وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة الف درهم عليها اطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جميع ماشاهده . قال لي هلال بن المحسن (٣) ووجدت من شرح ذلك ماذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي ابي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين انه نقله من خط الامير وأحسبه الامير ابا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ماعلق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز (٤) المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرز (٥) والستور الكبار البصانية (٦) والارمنية والواسطية واليمنية السوادج والمقوشة والدبيقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف ستر منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنى عشر ألفا وخمس مئة ستر وعدد البسط والنخاخ (٧) الجرمية والدرابجردية والدورقية في المرات والصحون التي وطيء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الحديد (٨) الى حضرة المقتدر بالله سوى مافي المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والدبيقي التي لحقها النظر (٩) دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بجنان الخيل وهي دار اكثرها ارزقة بأساطين

(١) قلابات وليس لكتبهما معنى ظاهر (٢) منها (٣) الكاتب (٤) بالطرز
(٥) والطيور . وهذا الصحيح ولا معنى للطرز هنا (٦) البصانية « نسبة الى قرية صغيرة بالاهواز » (٧) الصواب الانخاخ وهي البسط (٨) الجديد (٩) نحتها النظر

وخلم وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهبا وفضة بغير أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبزة الجميلة ثم ادخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة بجير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجنا اليها من الجبر قطعان تقرب من الناس وتشمهم (١) وتأكل من أيديهم ثم أخرجوا الى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين بالنار فهال الرسل امرها ثم اخرجوا الى دار فيها مئة سبع: خمسون بمئة وخمسون بسرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد "

ثم اخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بساتين (٢) في وسطها بركة رصاص قلعي حواليها نهر رصاص قلعي احسن من الفضة المجلوة، طول البركة ثلاثون ذراعا في عشرين ذراعا، فيها اربعة طيارات لطاف بمجالس (٣) مذهبة مزينة بالديقي المطرز وأغشيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بعادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجا مقوشا من اصلها والى حد الجُمَّارة (٤) يعلق من شبة مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي اكثره خلال لم يتغير، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستبو (٥) ومقثم وغير ذلك ثم اخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدوّرة فيها ماء صاف والشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها ساحات كبيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تمايل في اوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فارسا قد ألبس الديباج

(١) وتشمهم (٢) بستانين (٣) كذا «بمجالس» ساقطة (٤) الجمارة شحمة النخلة (٥) نوع من الفاكهة والكلمة فارسية

وغيره وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خبا وتقريبا (١) وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات مالا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن (٢) مذهبة معلقة ثم اخرجوا منه الى ممر طوله ثلاث مئة ذراع قد علق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة علاقوقي ، وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا (٣) صفين يمنة ويسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه الفتيان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي ايديهم الشروخ والطبر زينات (٤) والاعمدة ثم مروا بصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجند والرجالة واصاغر (٥) القواد ودخلوا دار السلام وكانت عدة كثير من الخدم الصقالبة (٦) في سائر القصور يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والقناع ومنهم من كان يطوف مع الرسل فلطول المشي بهم ما (٧) جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا

وكان أبو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجلة بعد ان لبس بالثياب الديبقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالديباج المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة (٨) اخرى من افخر الجواهر واعظمها قيمة غالبة الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر

(١) في نسخة سالمون بدل : في الناورد خبا وتقريبا ، هذه الجملة « فيظن ان كل واحد الى صاحبه قاصد » (٢) الجوشن هو الدرع (٣) في نسخة : بيض وسود واختار سالمون النصب (٤) الشروخ هي النصول . والطبرزينات واحدها طبرزين فأس من السلاح ويسمى ايضاً طبراً كما في بلاد الشام (٥) واصاغر (٦) والصقالبة (٧) حرف « ما » ساقط وهو الصواب (٨) سبحة

بالله فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بقبيل البساط قبله ولكنني قبلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لأن التكفير من رسم شريعتنا ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت، وتاوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضخما كبيرا فتناوله وقبله اعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر أصحابهما في شذا من الشذاوات الخاصة وصاعدا الى حيث انزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على ابي عمر صدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل أثناء العامين الاولين ﴾

الفه بالفرنسية الدكتور اده الاخصائي بفن الولادة وامراض النساء وترجمه بالعربية الدكتور فرا . صفحاته ٢٧٧ وعدد رسومه ٧٤ وقد طبع بمطبعة المعارف بمصر ويباع بمكتبة المعارف ومكتبة المنار بعشرة قروش صحيحة

من افضل محاسن المدنية الحديثة توزيع العلوم والاعمال وهو ما يصح أن يطلق عليه في اللغة العربية الاخصاء فان المرء اذا اقتطع لممارسة فن واحد من فنون العلم برع في ذلك الفن وأخصى وأمكنه أن ينفع وينتفع، وما كانت الاختراعات والاكتشافات في الماضي والحاضر الا بنت الاخصاء ، وان الارتقاء العظيم الذي وصل اليه الطب بفروعه ولا سيما فن الجراحة لم يكن لولا الاخصاء فهو سبب كبير من اسباب عظمة مدنية هذا العصر ، وما من أحد ينكر أن الطب هو ملاك العلوم العملية وتاج